محمد الأمين العمودي: شهيد القلم والكلمة

أ. حاج عبد القادر يخلف*

مقدمة: يعتبر الشّهيد محمّد الأمين العمودي أحد رموز النّهضة الوطنية، كما يعدّ من رواد الحركة الأدبية والفكرية والسّياسية البارزة، في النّصف الأوّل من القرن 20م، إبّان العهد الاستعماري بالجزائر، ورغم ذلك لا يزال العمودي مجهولا حتّى بين الأوساط المثقّفة من أبناء الجزائر، رغم قيام ثلّة من الأساتذة الذين عرفوه، بتسخير أقلامهم لإماطة اللثام عن شخصيته والتعريف بها، محاولين بذلك ردّ الاعتبار للرجل، وفاء بما تقتضيه الصحبة، فنقلوا إلينا بأمانة ما توافر إليهم من معلومات، ليست في الواقع سوى غيضا من فيض إسهامات الرّجل وإبداعاته في مجالات مختلفة، إلاّ أنّ هذه البضاعة المزجاة على قلّتها تشكّل لنا عند جمعها فسيفساء، إذا ما قمنا بترتيبها وتركيبها فسنكتشف الصورة الكاملة للجوانب المتعدّدة لهذه الشّخصيّة، التي جمعت بين الأدب نثرا وشعرا والصّحافة والتّرجمة والسّياسة والوطنية أوّلا وقبل كلّ شيء.

ترجمة حياته: ولد محمّد الأمين العمودي عام 1890 [1]، وبدأ تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه "وادي سوف" بالجنوب الشرقي الجزائري، وفي 16 من عمره التحق بمدرسة قسنطينة الفرنسية الإسلامية (Franco-Musulmane)، وقد كانت هذه المدرسة بالإضافة إلى مدرسة تلمسان تخرّج الشخصيات، من أصحاب المهن والوظائف الحكومية، وبعد أربع سنوات من العناء يتخرّج منها بشهادة تسمح لصاحبها بتولّي منصب عون قاض أو وكيلا لدى المحاكم الشرعية أو عدلا بمحكمة القاضي[2]، ومن حملة هذه الشهادة يختار من يسعفه الحظ حيث يواصل دراسته بمدرسة الجزائر التي كانت تقوم بتكوين وتخريج القضاة ورجال المحاكم وأعوان الإدارة الأهلية[3].

وعقب تخرّجه من مدرسة قسنطينة تقلّد عدّة وظائف في مساره المهني، منها وظيفة كاتب عدل في" فجّ مزالة "، ثم وكيلا شرعيا في بسكرة النخيل باب الصحراء، والجزائر العاصمة، فعميد للوكلاء الشّرعيين في العاصمة أيضا، كما شغل منصب الأمين العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في السّنوات الخمس الأولى من تأسيسها ما بين 1931 و1936، وهو منصب لا يفوز به إلاّ من أثبت

*- أستاذ مساعد ب في تاريخ المغرب الإسلامي– قسم التاريخ وعلم الآثار– كلية العلوم الإنسانية– جامعة وهران.

جدارته، وأجمعت الأوساط العلمية والفكرية من الطبقة المثقفة على أحقيته لهذا المنصب، ثم ترأس بعد ذلك جمعية شباب المؤتمر الإسلامي الجزائري في جوان من سنة 1937، الّتي تصدّت للموالين لفرنسا من الجزائريين والأجانب، معبّرة عن طموحات الشعب الجزائري.

وساهم العمودي في صناعة الكلمة لإبراز الصورة الإعلامية الحقيقية للجزائر في مرحلة حسّاسة جدّا، حيث أرادت سلطة الاحتلال وإدارته وأد الجزائر العربية الإسلامية ومحو صورتها من الوجود بإلباسها لباس الإدماج والفرنسة والإلحاق بفرنسا ما وراء البحر، ليتمّ لها اجتثاث الجزائر من جذورها وبقائها إلى الأبد فرنسية بكلّ ما تحمله الكلمة من معان تدلّ على نجاح المشروع الاستدماري بالجزائر.

فكتب العمودي ونشر مقالاته الصحفية ، واستقلّ بجريدة خاصّة به هي جريدة الدّفاع (La defense)، التي أسّسها سنة 1934 باللّغة الفرنسية، وكانت موضوعاتها تتمحور حول الدّفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، بقوّة الحجّة وصدق الكلمة وموضوعية الطّرح، كما هاجم السّلطة الجائرة وخصوم الشّعب، وكشف نشاطهم بأسلوب لاذع ومتميّز، فاعتبرتها الإدارة الفرنسية جريدة منكرة للحكم القائم، وأوقفت صدورها سنة 1937.

ويذكر أحمد توفيق المدني– وهو أحد من عرفوه عن كثب– " أنّه ما لبث أن أصبح من رجال الصحافة المبرّزين، وكان قلمه قلما فرنسيا بديعا يضاهي أو يفوق أقلام مهرة رجال الصّحافة الغربيين[4]"، وهذه شهادة تدلّ دلالة واضحة على سبق الرجل في ميدان الصّحافة وفصاحته النّاذرة باللغتين العربية والفرنسية، وقد أقرّ له بهذا العدوّ قبل الصّديق، ويضيف قائلا: " كانت تلك الصحيفة أي (La défense) مرآة مشرقة، تصوّر الرّأي العام الجزائري أصدق تعبير"[5]، وهو ما يوحي بأنّها كانت بالفعل القلم الذي يدافع عن آلام وآمال الجزائريين في هذه الفترة العصيبة من تاريخ الأمّة الجزائرية.

وقد مال الأمين العمودي في السّنوات الأخيرة من عمره إلى الانطواء على الذّات وطلّق السّياسة والسّياسيين، وابتعد عن حقولها الملغّمة وأكاذيب الاستعمار التي كانت تهدف إلى قتل الوقت والضّحك على الدّقون ليس إلاّ، فقد أصبح جسده لا يقوى على الحركة بعد أن أعيته الأزمات وأثّرت فيه الهموم، وقلّة المال وتكاليف العيال، وأصيب بالارتعاش وكاد يصاب بالشّلل، وخرج ذات يوم من منزله بحيّ سانت أوجين (بولوغين حاليا) إلى المحكمة الشّرعية بالجزائر في الوقت الذي كثّفت فيه اليد الحمراء نشاطها الإرهابي ضدّ المثقفين الجزائريين، فخطفته عناصر من هذه المنظمة، ولم ترحم كبر سنّه والأمراض الّتي كانت تسكن جسده، ولم ترع حرمة الإنسانية فيه فاغتالته يد الإجرام ببرودة، وعثر

عليه طريحا قرب البويرة في أكتوبر1957م، ودفن بمقبرة حي سانت أوجين[6]. فختم بذلك حياته بشهادة الأبرار – رحمه الله– عن سبعين سنة[7].

الجانب الصّحفي: لم تخلو الصحف الجزائرية فيما بين الحرب العالمية الأولى ، والحرب العالمية الثانية من كتابات الأمين العمودي، الذي كان صحفيّا بارعا، يمتاز بالمهارة والألمعية، يكتب باللّغتين العربية والفرنسية في الأمور الأدبية والشّؤون الاجتماعية والسّياسية ذات الصّلة بالوطنية والمواطنة، وقد تميّزت كتابته بالبساطة والموضوعية.

فكانت بدايته الإعلامية خلال العشرينيات في صحيفة (النّجاح) في عهدها الأوّل، كما كتب في (الإقدام) باللسان الفرنسي للأمير خالد، عندما كان يصدرها السيد الصادق دندن[8] وفي (الإصلاح) و(صدى الصّحراء) بسكرة وفي (المنتقد) و(الشّهاب) لابن باديس بقسنطينة، وفي صحف (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) الأولى قبل (البصائر) وأخيرا في (الجزائر الجمهورية) " Alger Républicain" الجريدة اليومية التقدّمية الصّادرة بالفرنسية من العاصمة، ثم استقلّ بإصدار صحيفة (الدّفاع) "La defense" بالفرنسية في العاصمة سنة 1934 وكان رئيس تحريرها والمسؤول الأوّل عنها، ودامت 5 سنوات لتتوقّف مع بداية الحرب العالمية الثّانية، بسبب منع السلطات الاستعمارية كلّ النشاطات السياسية والصحفية في مستعمراتها أثناء الحرب.

وتميّزت هذه الجريدة بصدق الكلمة وقوّة الدّليل في الدّفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، وعبّرت عن مجتمعهم أصدق تعبير، وعرّفتهم بما يجهلونه عن عروبتهم وإسلامهم وتاريخ وطنهم ومزاياه، وكانت دوما تدعوهم للتآلف والتكاثف والترابط، في وقت كانت بعض الصّحف لمواطنين جزائريين تدعو للتجنّس أو الاندماج مثل صحيفة (الصّوت الأهلي) "La voix indigène " للزناتي المتجنّس، و(صوت العمّال) "La voix des humbles"[9]، للأستاذ العربي طاهرات الاشتراكي على الطّريقة الفرنسية، أي على خطى وأفكار الحزب الاشتراكي الفرنسي.

وشعورا منه بما يمليه عليه الواجب الوطني، وما تحتّمه عليه النّخوة العربية والواجب الدّيني، فقد ردّ الأمين العمودي على هاتين الصّحيفتين وعلى مثيلاتها من الصّحافة الاستعمارية المتطرّفة في هذه الفترة ومنها "L'echo d'alger" و"La dépêche quotidienne" و" La dépêche de constantine" ، ونتيجة لمواقفه اللاّذعة تعرّض للمضايقات والسّجن[10].

بلغ الصّراع الفكري أشدّه بين الإصلاحيين والطّرقيين، فأصدر هؤلاء صحيفة بعنوان (المعيار) لون ورقها أخضر كلون الجنّة فيما يزعم أصحابها، وهي لسان حال (جماعة السنّة) كما يدّعون، وكان

سلاحها الذي تستعمله ضدّ الإصلاحيين هو القدح والشّتم بأسلوب ركيك، وردّا على هذه الجريدة تكوّنت جريدة (الجحيم)، التي كان لون ورقها أحمرا كلون جهنّم، وحروف عنوانها مكتوبة بشكل ثعابين وأفاعي فاغرة أفواهها فوق ألسنة من اللّهب، وتحت العنوان كتبت العبارة الآتية: "العصا لمن عصى"، ولم تكن هذه الجريدة تتكلّم باسم جمعية العلماء، كما كانت المعيار تتكلّم باسم جمعيتها، ولم يكن ابن باديس راض عنها، وكان على رأسها الأمين العمودي و السّعيد الزّاهري، اللّذان أظهرا براعة ناذرة في ردع الخصوم بالنّقد والتّجريح، نظما ونثرا في قوالب أدبية مختلفة من نكت ونوادر وقصص وطرائف، فيها الجدّ والهزل والدّعابة والسّخرية"[11].

وممّا تقدّم يتبيّن لنا أنّ النطاح الفكري كان على أشدّه بين الجماعتين، وكان لكلّ منهما طريقته وأسلوبه في التعبير عن آرائه في شكل مساجلات فكرية رائعة وراقية، لعب فيه العمودي والزمّوشي الدّور الرّئيس في الردّ على بدع الطرقية وانحرافاتها، فكانا قطبي الرّحى في هذه المعركة الفكرية بحكم معرفتهما الواسعة بلغة العرب نثرا ونظما، وإلمامهما الكبير بالشريعة الإسلامية سنّة وعقيدة فجمعا في أسلوبهما بين الجدّ والهزل، وأجادا كلّ فنون الأدب التي لم يكن يستطيع أن يباريهما فيها أحد من رجالات الطرقية حينئذ.

جانب الترجمة: هناك الكثير من الوثائق والأقوال الّتي تشير إلى تعاطي العمودي للتّرجمة ببراعة فائقة، ومن ذلك أنّه اشتغل في فترة فجّ مزالة وبسكرة مساعد التّرجمان الشّرعي، فكان يقوم بفرنسة المطالب والشّكاوى والعقود وما يتقدّم به المواطنون من وثائق، زيادة على التّرجمة الفورية بين المواطنين وأعوان السّلطة الاستعمارية، الذين كانوا لا علم لهم باللغة العربية، ويكفيه شهادة الشيخ عبد الحميد بن باديس عندما عارض بعض الأشخاص تعيين العمودي ضمن وفد المؤتمر الإسلامي الجزائري، فقال ابن باديس يومها: "لا أرضى بغير العمودي ترجمانا لي، فهو الذي يستطيع تبليغ أفكاري وترجمة كلامي إلى المسؤولين الفرنسيين، وينقل إليّ كلامهم بأمانة وإخلاص فالأمين العمودي هو لساني (الأمين) الذي لا أبغي به بديلا"[12].

كما نعرف أنّه تخرّج من مدرسة قسنطينة الفرنسية– الإسلامية ، الّتي تؤهّله للقيام بأعمال التّرجمة الرّسمية، والنّقل من لغة إلى أخرى بين العربية والفرنسية (يستويان عنده في النّقل منها وإليها)[13]، ونظرا لاضطلاعه الواسع على الثّقافتين العربية والفرنسية، "فهو يمثّل بأفكاره أبعد ما وصل إليه التفكير الإصلاحي من تحرّر بالنّسبة لقضية تعليم المرأة، ولعلّه الوحيد بين الكتّاب الإصلاحيين ممّن يجمع بين اللّغتين بتمكّن، وقد اعترف له الأصدقاء والأعداء بالمهارة والألمعية، مسّه رشاش من نظريات

المتفرنسين ولكنّه لم يبتل، وحاول جاهدا أن يعبّر عن تمسّكه بالرّوح الإصلاحية السّلفية، وموافقته لنظريات رجالاتها"[14].

ومّما لا شك فيه أنّ الرّجل سبق عصره فكان على قدر كبير من التفتح الذي لا يعني الانحلال والتفسخ والاضمحلال، بل لعلّه كان من رواد الدّعوة إلى الأصالة والمعاصرة، في زمن كان يصعب فيه الحديث عن المزاوجة بين الاثنين، لاعتقاد الكثيرين من أصحاب الفكر الضيّق أنّ ذلك ضرب من الخيال، يستحيل فيه الجمع بين النقيضين.

جانب الشّعر: كان الأمين العمودي شاعرا من شعراء الجزائر وأديبا من أدبائها، وتعود نشأة شاعريته إلى أيّام دراسته بقسنطينة عندما كان في ريعان شبابه، حيث كان شعره آنذاك ذاتيا، لكنّه سرعان ما اقتحم معركة الشّعر الاجتماعي الموجّه لمثل عليا، والمنفّر للطّباع من بعض المظاهر، والمرشد إلى جمال الحياة وسواء السّلوك، والسموّ بالهمّة للدّرجات العلا، وقد كتب الشّيخ محمّد الهادي الزّاهري السّنوسي رحمه الله كتاب (شعراء الجزائر في العصر الحاضر)، الذي صدر الجزء الثّاني منه عن مطبعة النّهضة بتونس سنة 1346هـ/ 1927م، وفيه ترجمة الشّهيد بقلمه، ومجموعة من الأشعار تبلغ 146 بيتا موزّعة على 6 قصائد هي كالتالي:

- ضاقت على ذكر ما قاست أعوام.
- الشّكر للنعمى يوفّرها.
- نار عصيبة التلهاب.
- أمر دبّر بليل.
- الطّبيعة السّاحرة.
- رواية زوجين يتحاكمان أمام القاضي.
- جواب الزوج.
- الحكم[15].

وأضاف د.صالح خرفي قصيدة أخرى بعنوان: الأمير خالد من 24 بيتا[16]، وغيرها وقد يبدو للبعض من مجرّد ملاحظة هذه الأرقام أعلاه أنّ الأمين العمودي كان من الشعراء المقلّين بالنظر إلى عدد ما كتب من القصائد، إذا ما قورن بفطاحل الشعر في عصره، وفي ذلك جانب كبير من الصحّة ولا مجال للمقارنة، وما من شك أنّ الاستعمار عندما قام بسجنه سنة 1940 ببربروس وتعطيل جريدته "الدفاع " قد وصل إلى ممتلكاته الفكرية فأتلف ما عثر عليه، ومن المحتمل جدّا أن يكون في ذلك بعض

القصائد، إلاّ أنّ الحقيقة التي لا يختلف حولها اثنان هي أنّ شعره كان اجتماعيا ساخرا يتميّز بالدّعابة والطّرفة الهادفة، ومن أمثلة ذلك الأبيات التي قالها في طبيب مسلم متزوج بفرنسية وله منها غلام وهي:

حي الطبيب ولا تنس قرينته هو سليمان و(المدام) بلقيس

له غلام أطال الله مـــدتـــه تنازع العرب فيه والفرنسيس

لا تعذلوه إذا ما خان أمّته فنصفه صالح والنصف"موريس"[17]

ونجده ينفّر من بعض الطّباع والسلوكات، ويرشد إلى السلوك السويّ، ويدعو إلى علوّ الهمّة، وقد تعدّدت أغراض كتابته الشعرية بما في ذلك الجانب الذاتي. ويعترف له أهل الاختصاص في هذا الفنّ بقيمة ما يمتلك من مؤهلات وكفاءات، ويكفي أن نذكر في هذا الباب ما ورد على لسان الشاعر الأديب الأستاذ أحمد البدوي، إذ يقول عن العمودي: "لقد كان أديبا مطبوعا، يجري مع سليقته العربية في كلّ ما يكتب أو ينظم، ممّا يدلّ على أنّ محصوله من الثقافة جدّ وافر، وهو الذي كان يحدّث أصدقاءه عن كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب) لمؤلّفه العلاّمة المقرّي التلمساني، ويحثّهم على مطالعته واستظهار بعض ما يحتويه من أدب جمّ، وعلم غزير، وكثيرا ما كان ينثر عليهم ما التقطته حافظته من جواهر هذا الكتاب العظيم، الذي كان في ذلك الوقت عزيز الوجود، لا يعرفه الكثير من القرّاء"[18].

وفضلا عن هذا وذاك فإنّ المؤكد لنا أنّ هذه القصائد لم تكن تخلو من رائحة الوطنية، وصدق العاطفة والدفاع عن المقدسات وذمّ الاستعمار بكلّ أشكاله، والدعوة إلى التحرّر من الفكر الخرافي، والنهوض بالأمّة بسلاح العلم والمعرفة لا غير.

الجانب النّضالي: قال الأمين العمودي عن نفسه: "أمّا حياتي فحياة كلّ مسلم جزائري، حياة بلا غاية ولا أمل، حياة من لا يأسف على أمسه، ولا يغتبط بيومه، ولا يثق بغده"[19].

إنّ المتأمّل بنظرة فاحصة لهذه العبارات، يدرك أنّ العمودي كان صاحب نظرة تشاؤمية طغت على تفكيره، حيث كان في بداية حياته النضالية يعاني من ظلمة الاستعمار وظلمه، ككلّ الأحرار والشرفاء في هذا الوطن الأبيّ، إلى درجة أنّ الحياة كانت لا تعني شيئا بالنسبة إليه، فلا يختلف أمسه عن يومه، ولا تعرف السعادة طريقا إلى قلبه، والأدهى والأمرّ من ذلك أنّ الغد بات زمنا مجهولا ومخيفا، لا يدري ما قد يزوّده به من أخبار وأحداث أو كوارث.

ظلّ العمودي على هذا المنوال، إلى أن اجتمعت جهود الرجال من علماء الإصلاح في أرض الوطن، ودعي إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931، فانتقل من بسكرة إلى الجزائر، وكان في طليعة الملبّين والمؤسّسين لهذه الجمعية، وعندها وجد نفسه يخرج من قوقعته ويتخلّص من همومه، ويتسلّح بالحزم والجدّ والإخلاص والأمل مع العمل، لمواجهة الاستعمار الفرنسي وأذنابه.

وتبرز عبقريته أكثر في صبيحة الاجتماع العام الثّاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1932، عندما لاحظ امتلاء القاعة بأصحاب السبح "الشيخ أحمد بن عليوة" والطّرقيين، فأدرك أنّهم يحاولون تفجير الجمعية من الدّاخل والاستيلاء عليها، فأشار واتّفق مع الشّيخين محمّد خير الدّين والسّعيد الزّاهري، بأنّ أوراق الانتساب إلى الجمعيـــة ستغيّر، بناء على امتحـــان يقوم شيخـــان من العلمـــاء لإثبات علمية المنتسب أو جهله، ونجحت هذه الخطّة في إفشال محاولة الطّرقيين للتدخّل في شؤون جمعية العلماء بصورة قانونية[20].

فكرة المؤتمر الإسلامي: جاء على لسان الأمين العمودي وهو يخاطب ابن باديس: "سيقع الكلام عن الجزائر، وربّما بتّ في أمرها النّواب الفرنسيون والجزائر غائبة ..." وبعد أخذ وردّ بينهما قال: "لا أرى خروجا من هذه الورطة إلاّ بانعقاد مؤتمر تتمثّل فيه الأمّة بطبقاتها، وتعرب عن نفسها وتطالب بحقّها، فقال له ابن باديس: "أدع للمؤتمر، ونحن نؤيّدك"، فقال العمودي: "ينبغي أن تكون الدّعوة صادرة منكم لأنّكم رئيس جمعيّة العلماء، ولأنّ اسم عبد الحميد بن باديس له قيمته ووزنه في الشّعب الجزائري وغيره". ونتج عن هذا تحرير دعوة للمؤتمر بالعربية والفرنسية، أمضاها الشّيخ عبد الحميد بن باديس، فكان لها مفعولها، لكنّ العقبي استاء لذلك ورأى أنّ الجمعيّة لا ينبغي لها أن تتدخّل في السّياسة وهذا قضاء على الجمعيّة، إلاّ أنّ ابن باديس ردّ عليه قائلا :"أنا إذا دخلت السّياسة دخلتها باسمي كمسلم جزائري صحفي لا كرئيس لجمعية العلماء"[21].

وسافر الوفد وشارك العمودي في أعمال المؤتمر الإسلامي الجزائري من يوم تأسيسه في سنة 1936، وبعد رفض الحكومة الفرنسية لمطالبهم، ونكوص الدّكتور ابن جلوّل عن المؤتمر، يضاف إلى ذلك عراقيل أخرى، فشل المؤتمر من وجهة نظر البعض، وخرجت كتلة النّوّاب المسلمين منه، فتألّفت في سنة 1937 هيئة أخرى، للحفاظ على أهداف المؤتمر والدّفاع على أسسه وقواعده تدعى (شباب المؤتمر) ترأسها الأمين العمودي، وكان الفضيل الورتلاني نائبا عنه فيها.

ويشير المدني في هذا الصدد، أنّ العمودي "كان له القدح المعلّى بعد ذلك في إقامة هيكل المؤتمر الإسلامي الجزائري، والنضال في مضماره نضالا محمودا جريئا صادقا، واضطلع بمهمّة تكوين شباب

المؤتمر الإسلامي، مع جماعة من رجال المؤتمر، فأصاب المحز، وأنشأ ذلك الشباب صالحا عاملا نشيطا"[22].

ومن قراءتنا لأحداث المؤتمر الإسلامي، يتبيّن لنا أنّ الرّجل كان وراء فكرة المؤتمر والدّاعي إلى إقامته، والمهندس الحقيقي لكلّ ما جرى فيه من وقائع، ممّا يؤكّد تشبّعه بالسياسة وأخذه بكلّ الأسباب التي من شأنها أن تحقّق المطالب، التي كان الشعب الجزائري يرومها في هذه الحقبة من الزمن.

وأمام فشل المساعي الرّامية إلى إلغاء القوانين العرفية الزّجرية، (L'indigénat) الّتي جرّدت الجزائريين من أبسط حقوقهم الإنسانية، وحوّلتهم إلى مجرّد أهالي نازعة عنهم صفة المواطنة، ووسط ظروف طغى عليها الفكر الخرافي باسم الدّين في أوساط الشّعب الجزائري، إلى جانب بروز دعوة بعض الأصوات من المثقّفين الجزائريين الدّاعين إلى التفرنس والتجنّس كوسيلة للنّهضة، زاعمين أنّ تعاليم الدّين لا تتّفق مع قواعد الرّقيّ[23].

وهذا الزعم لا يختلف حوله عاقلان، فهو باطل ما بعده باطل، ومن هنا وجد العمودي نفسه وسط هذه الأوضاع القاسية، التي أجبرته على التعامل معها بحكمة المثقف الواعي المتبصّر بمجريات الأمور وعواقبها، وحمّلته مسؤولية النّضال بالكلمة والقلم موظفا اللّسانين العربي والفرنسي في كتاباته، ويمكن تلخيص ما تميّز به نضاله فيما يلي:

– مكافحة الدّجل والشعوذة والخزعبلات، التي كانت تقف سدّا منيعا أمام تحرّر العقل، ومحاربة كلّ مظاهر الخيانة والتخلّف، من خلال جريدة الجحيم.

– الدّفاع عن حقوق ومصالح الجزائريين المسلمين باللسان الفرنسي، باستماتة لا هوادة فيها، عبر جريدته الدّفاع "La défense"، الّتي أسّسها في سنة 1934، وقد ردّ من خلالها على مغالطات الصّحافة الاستعمارية، وكافح طغيان الإدارة الفرنسية، وتصدّى للمشروع الاستعماري، الذي كان يهدف إلى إلحاق الجزائر بفرنسا ما وراء البحر، كجزء لا يتجزّأ من الإمبراطورية الفرنسية إلى الأبد، فطرح فيها مطالب الشّعب، وهو ما عرّضه للسّجن سنة 1940 ببربروس، بعد تعطيل جريدته أثناء قيام الحرب العالمية الثّانية.

– وعندما وضعت الحرب أوزارها و كان قد خرج من ظلمة السّجن، ورغم أنّه منع من إعادة إصدار جريدته، بقي مناضلا بطريقته الخاصّة في الشّارع والمقهى، وحيثما وجد إلى ذلك سبيلا، إلى أن اندلعت الثّورة التحريرية المباركة، التي وجد فيها تعبيرا صادقا للحلم الذي طالما راوده، فانغمس فيها قلبا

وقالبا كغيره من المناضلين[24]. ذلك أنّه كان يرى فيها بداية النهاية إلى طريق الحرية والانعتاق، بعيدا عن كلّ القيود والأغلال، التي كان الاستدمار الفرنسي يطوّق بها أيادي ورقاب الشعب الجزائري.

ويشير الشّاعر والمترجم الأستاذ الطّاهر بوشوشى، إلى أنّ الأمين العمودي قام بتحرير وترجمة التّقرير، الذي قدّم في ملف القضيّة الجزائرية للأمم المتّحدة، عن التعذيب الجهنّمي والأساليب الوحشية، الّتي كانت السّلطات الفرنسية تستعملها ضدّ الشّعب الجزائري ... هذا التّقرير الذي قدّمه الأخ عبد القادر شندرلي، إلى لجنة تصفية الاستعمار بالأمم المتّحدة سنة 1957 ... وقد كانت المعلومات تجمع بواسطة مناضلي الجبهة، ويقدّمها الشّيخ الصدّيق مصباح إلى العمودي، ليصوغها في تقرير أفحم الدّبلوماسية الفرنسية، وفضح ادعاءاتها وأكاذيبها. وبعد حصول القضيّة الجزائرية على حقّ التسجيل في الدّورة 11 للأمم المتّحدة، المنعقدة خلال شهري (جانفي– فيفري من سنة 1957)، توصّلت السّلطات الفرنسية بعد بحث مدقّق إلى صاحب التّقرير، فألقي القبض على الشّيخ الصدّيق مصباح، وتأكّدوا من أنّ صاحب التّقرير هو الأمين العمودي، ويذكر الأخ بوشوشى أنّ الشّيخ مصباح أكّد له بعد الاستقلال، أنّ العمودي هو صاحب التّقرير بنصّه العربي والفرنسي، أمّا المعلومات الواردة فيه من جمع مناضلي جبهة التّحرير الوطني[25].

وممّا تقدّم يتضح لنا أنّ الرجل تفاعل بكيانه مع الثورة بجميع أحداثها ومستجدّاتها ، فسخّر قلمه واستخدم معرفته القانونية والأدبية، وقدرته على التعبير باللغتين العربية والفرنسية، لإيصال صوت الجزائر إلى كبرى المحافل الدولية، للتعريف بالقضية الجزائرية أملا في إدراجها كحق شرعي يمكّنها من المطالبة بتقرير مصيرها، لإيمانه العميق بأنّ كسب المعركة العسكرية يمرّ عبر كسب رهان المعركة الإعلامية والدبلوماسية، ويكون من نتائج ذلك الحصول على التأييد والاعتراف والدّعم المادّي والمعنوي – الذي كانت الجزائر في مسيس الحاجة إليه حينئذ – من قبل الدّول الشقيقة والصديقة والشعوب المحبّة للسلام.

خاتمة: كحوصلة لموضوع بحثنا هذا يمكن الخروج بمجموعة من النّقاط نلخّصها كالتّالي:

– إنّ الأمين العمودي شخصية قانونية معتبرة، تستطيع التّأثير بالنّفع أو الضّرر، باعتبار أنّه كان ملمّا بالقانون من خلال ممارسته الميدانية لفترة من الزمن، فضلا عن اطّلاعه الواسع على أحكام الشريعة الإسلامية، ولا شك أنّه كان يجمع بين الاثنين بدون إخلال.

– تجاوزت عبقرية الرّجل مجال العدالة ودواليب الإدارة إلى الصّحافة السّياسية والأدبية، إذ أنّه بالإضافة إلى الجانب القانوني، كان أديبا لامعا راجت أشعاره وذاعت كتابته في الشّؤون الأدبية، فضلا عن كونه صحفيّا بارعا ومتميّزا في القضايا السّياسية والاجتماعية لوطنه.

– كما ساهم العمودي في حركة التّرجمة، بحكم تمكّنه من اللّغتين العربية والفرنسية، فكتب بهذه كما كتب بتلك، ويكفيه فخرا – وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في معرض البحث – أنّ الإمام عبد الحميد بن باديس اختاره دون غيره كي يكون ترجمانا له في المؤتمر الإسلامي سنة 1936.

– كان الرّجل يجمع بين الأصالة والعصرنة، وبين الدّين والسّياسة بمرونة فائقة، فيدافع عن حقوق المسلمين الجزائريين، ويحارب التجنّس والتفرنس، ويدعو إلى تعليم المرأة المسلمة، ويقف ضدّ الدّجل والفكر الخرافي.

– كان يمتاز ببعد النّظر السياسي، ويؤمن بما يدعو إليه من أفكار وطنية بعزم وإصرار، فأوحى إلى ابن باديس بفكرة المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، ودافع عن هذه الفكرة بعد فشل المؤتمر، بسبب المعوّقات التي واجهته بتأليفه لهيئة شباب المؤتمر سنة 1937 للحفاظ على روح وأهداف المؤتمر، والدّفاع عن أسسه وقواعده التي أنشئ من أجلها.

– فجّر كلّ طاقاته وإبداعاته، وسخّر شبابه ثائرا على الأوضاع، وجلّ كهولته مناضلا لا يخشى في قولة الحقّ من بطش الاستعمار ولومه، فعرّضه لسانه وقلمه إلى السّجن، ثم الاغتيال على يد جماعة اليد الحمراء الإرهابية، التي تتبعت العقول الجزائرية والمثقفين البارزين من أبناء الوطن، نكاية منها بكلّ من ساهم في تحريك وتنوير الشعب الجزائري في ثورته المجيدة، لينال بذلك شرف الشّهادة، مسجّلا اسمه ضمن القائمة الطّويلة لشهدائنا الأبرار، وباستشهاده رحمه الله تنطفئ شمعة من شموع الفكر الجزائري المعاصر، فالمجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

الهوامش:

1) – الشّيخ محمّد الهادي الزّاهري السّنوسي، " شعراء الجزائر في العصر الحاضر " ، مطبعة النّهضة ، تونس 1346 هـ / 1927 م، ص 19 – 20. وقد أورد الأستاذ حمزة بوكوشة أنّ ولادة العمودي كانت حوالي سنة 1891م. ينظر مقاله: شخصيات منسية (الأمين العمودي)، في مجلّة الثقافة، الصّادرة عن وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، السنة الأولى، العدد 6، ذو القعدة 1391هـ/جانفي1972م، ص.47

2)– حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص49.

3)– محمد الأخضر عبد القادر السّائحي، نماذج من الشعر الجزائري المعاصر، " ترجمة مختصرة للأمين العمودي في مجلّة أمال"، الجزء الأول، وزارة الثقافة، الجزائر، 1982، ص.7

4)– أحمد توفيق المدني، حياة كفاح (مذكرات)، دار البصائر– الجزائر، ج2، ص.499

5) _ أحمد توفيق المدني، نفس المصدر والصفحة.

6) _ حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص61–62.

7) _ أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ج2، ص500.

8) – حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص55.

9) – يشير الدّكتور محمّد ناصر في كتابه" المقالة الصّحفية الجزائرية"، المجلّد 1، ص 73، ش.و.ن.ت ، الجزائر 1978 إلى كلمة (المستضعفين بدلا من كلمة (العمّال).

10) – محمد الصالح رمضان،" الأديب الشهيد الأمين العمودي كما عرفته" في مجلّة الثّقافة، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر ، عدد 43، بتاريخ 8 صفر وربيع الأوّل 1398 هـ / فيفري ومارس 1978 م، ص 18 –19.

11) – المرجع نفسه، ص 17 – 18.

12) – نفسه، ص 19–20.

13) – نفسه، ص 22.

14) – د. محمّد ناصر، المرجع السابق، المجلّد 1، ص.243

15) – محمد الهادي الزاهري، المرجع السابق، صص21–30.

16) – د. صالح خرفي، كتاب "الشعر الجزائري"، صص48–50 من الملحق الشعري (الشعر القومي)، الجزائر، (د.ت). كما وردت هذه القصيدة في جريدة "الإقدام"، عدد 103، 26 نوفمبر 1922، وقد نشرت مغفلة من غير إمضاء ولكنها قدمت بما يشير إلى (الأمين العمودي).

17) – حمزة بوكوشة، المرجع نفسه، ص55. محمد الصالح رمضان، المرجع نفسه، ص13 وفيه في الشطر الأوّل من البيت الثالث كلمة (ملّته) بدلا من (أمّته) عند الأستاذ بوكوشة.

18) – من كلمة في ندوة الموقار، نوفمبر 1977.

19) _ أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ج2، ص.499

20) – مذكّرات الشّيخ محمّد خير الدّين ، مطبعة دحلب، حسين داي، الجزائر 1985، ص112 – 119، ينظر كذلك رواية الشّيخ ابن باديس لهذه الواقعة في مجلّة الشّهاب، ج8 م.8

21) – د. *أبو القاسم* سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، مطبعة الجيلاوي – القاهرة 1975، ج3، ص162، ينظر أيضا: م. الثّقافة، العدد 86، السّنة 15، ص 223 – 224.

22) _ أحمد توفيق المدني، المصدر نفسه، ج2، ص500.

23) – د. محمد ناصر، نفس المرجع، ج1،ص 278 – 279.

24) – من كلمة الأستاذ الطّاهر بن عيشة في ندوة الموقار، نوفمبر 1977 .

25) – الأستاذ محمّد الأخضر عبد القادر السّائحي، محمّد الأمين العمودي، م.و. للكتاب– الجزائر،1988، ص 24 إلى 26.